التذكرة

في

أحوال الموتى وأمور الآخرة

للإمام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر فرح القرطبي

« ت ٦٧١ هـ »

تحقيق وتعليق

يوسف علي بديوي

الجزء الأول

دار ابن كثير

دمشق - بيروت

حُقُوقُ الطَّبعِ وَالتَّصْوِيرِ مَحْفُوظَةٌ لِلنَّاشِر

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

HARVARD
UNIVERSITY
LIBRARY

دار ابن كثير
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي
ص.ب: ٣١١ - تلفون: ٢٢٢٥٨٧٧ - ٢٢٤٣٥٠٢
بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي
ص.ب: ١١٣/٦٣١٨ تلفون: ٨١٧٨٥٧ - ٢٠٤٤٥٩-٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ التَّحقِيق

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلَّا على الظالمين.

اللهم أكرمني بعافيتك، وامنن عليَّ بالصحة والأمن، والسلامة في ديني وبدني، والبصيرة في قلبي، والنجاح في أموري، والخشية لك، وَأَنْطِقْ بحمدك لساني وجوارحي، إنك على ما تشاء قدير.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً رسول الله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد؛ فإنَّ من فضل الله تعالى أن بيَّن للناس كُلَّ ما يهمهم من أمور الدنيا والآخرة، وبعث المرسلين، وآخرهم سيدنا محمد ليحذّروا وينذروا كلَّ مرتاب ضال، وليبشّروا كل مؤمن موقن بلقاء الله عز وجل يوم القيامة.

ومن أركان الإيمان أن يوقن المرءُ باليوم الآخر، وبحياة البرزخ، وبالموت، وبالبعث والنشور، وبالجنة والنار، وأن الله قادر على حشر الناس في صعيدٍ واحد، ومحاسبتهم بالعدل الإلهي المطلق، ليلقى المحسنُ ثوابه، ويجد المسيءُ عقابه.

ولا بُدَّ للإنسان أن يعرف حقيقة القبر، وما يؤول إليه بعد الموت،

وهو أيضاً يوم الوفاء، قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ﴾ [النور: ٢٥] أي حسابهم وجزاؤهم، والجنة جزاء الحسنات، والنار جزاء السيئات. وقال الله تعالى في المعنيين: ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [التوبة: ٨٢] ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧] وقال في جهة الوعيد ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾ [فاطر: ٣٦].

ومنها يوم الندامة، وذلك أن المحسن إذا رأى جزاء حسناته والكافر جزاء كفره؛ ندم المحسن أن لا يكون مستكثراً، وندم المسيء أن لا يكون استعتب، فإذا صار الكافر إلى عذاب لا نفاد له تحسَّر، فلذلك سُمِّي يوم الحسرة قال الله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ ﴾ [مريم: ٣٩] وذلك عند ذبح الموت على ما يأتي ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾ يعني الآن عن ذلك اليوم، والحسرة عبارة عن استكشاف المكروه بعد خفائه.

ومنها يوم التبديل، قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ﴾ [إبراهيم: ٤٨] وقد تقدم القول في ذلك مستوفى.

ومنها يوم التلاقي، قال الله تعالى: ﴿ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ [غافر: ١٥] وهو عبارة عن اتصال المعنيين بسبب من أسباب العلم والجسمين، وهو أنواع أربعة: **الأول** لقاء الأموات لمن سبقهم إلى الممات فيسألونهم عن أهل الدنيا كما تقدم، **الثاني** عمله وقد تقدم، **الثالث** لقاء أهل السماوات لأهل الأرض في المحشر وقد تقدم، **الرابع** لقاء الخَلْقِ للبارىء سبحانه وتعالى، وذلك يكون في عَرَصات القيامة وفي الجنة على ما يأتي.

ومنها يوم الآزفة تقول العرب أزف كذا أي قرب، قال الشاعر[1]:

أَزِفَ التَّرَحُّلُ غَيْرَ أَنَّ رِكابَنَا ... لَمَّا تَزُلْ بِرِحَالِنَا وَكَأَنْ قَدِ[2]

(١) هو النابغة الذبياني.

(٢) في ديوان النابغة الذبياني. «أفِدَ التَّرحُّلُ....» الخ. و«أفِدَ»: أي دنا وقَرُبَ. و«الرِّكاب»: الإبل، واحدها رَاحلة، ولا واحد لها من لفظها.

وهي قريبةٌ جِدّاً، وكلُّ آتٍ قريبٌ وإن بعد مداه، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً ﴾ [الأحزاب: ٦٣] وما يستبعد الرجل من الساعة ومدته ساعة.

ومنها يوم المآب، ومعناه الرجوع إلى الله تعالى، ولم يذهب عن الله شيء فيرجع إليه، وإنما حقيقته أن العبد يخلق الله فيه ما شاء من أفعاله. فلما خلق فيه علماً وخلق فيه إيثاراً واختياراً ظنَّ الناس أنه شيء، أو أن له فعلاً، فإذا أماته وسلب ما كان أعطاه أذعن وآب في وقت لا ينفعه الإياب، ولم يزل عن الله تعالى في حال فهو الأواب.

ومنها يوم المصير وهو يوم المآب بعينه، قال الله تعالى: ﴿ وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ ﴾ [النور: ٤٢] فالخلق سائرون إلى أمر الله تعالى، وآخر ذلك دار القرار وهي الجنة أو النار، قال الله تعالى في حق الكافرين: ﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٣٠].

ومنها يوم القضاء، وهو أيضاً يوم الحكم والفصل، وسيأتي أن أول ما يقضى فيه الدماء وقال ﷺ: «ما مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ ولا فِضَّةٍ لا يُؤَدِّي منها حَقَّها»[1] الحديث وفيه: «كلما بردتْ أُعيدتْ له في يومٍ كان مقدارُه خمسينَ ألف سنة حتّى يقضيَ بين العبادِ»، والفصل هو الفرق والقطع؛ فيفصل يومئذ بين المؤمن والكافر والمسيء والمحسن، قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ﴾ [الممتحنة: ٣] الآية.

وهو يوم الحكم، لأن إنفاذ الحكم هو إنفاذ العلم قال الله تعالى: ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الحج: ٥٦] الآية، وقال: ﴿ ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾ [الممتحنة: ١٠].

ومنها يوم الوزن، قال الله تعالى: ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾ [الأعراف: ٨] الآية، وسيأتي الكلام في الميزان ووزن الأعمال فيه؛ في أبواب إن شاء الله.

(١) رواه مسلم (٩٨٧) في الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة، وأبو داود (١٦٥٨) في الزكاة، باب: =